خلاصة حياة

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

عظمته . نسبه الشريف . مولده . نشأته
البشارة برسالته . بعثته . دعوته لدين الله .
انتشار الاسلام . زوجاته امهات المؤمنين:
حكمة تعدد الزوجات . أخلاقه الكريمة

ثمرة يانعة من ثمار كتب حياته الشريفه

قطفها

الأستاذ الشيخ الدسوقي موسى

من أساتذة التربية والتعليم بالمدارس الأميرية

١٣٥٤هـ — ١٩٣٥م

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى والليل إذا سجى «١» * ماودعك وبك وما قلى «٢» * وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى * ألم يجدك يتيما فآوى «٣» ووجدك ضالا «٤» فهدى * ووجدك عائلا «٥» فأغنى * فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل «٦» فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدث «٧» *

وإنا تحدثاً بنعمة الله وإيماء لقوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ولقوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) نقول وبالله التوفيق

إن من أجل نعم الله تعالى علينا نعمة الدين الأسلامى ، دين نبينا ورسولنا الأعظم محمد صلى عليه وسلم ، فبعثته صلى الله عليه وسلم منة كبرى ونعمة عظمى من الخالق سبحانه على عباده المؤمنين ؛ بل على خلقه أجمعين ، قال عز من قائل (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم «٩» حريص عليكم «١٠» بالمؤمنين رؤوف رحيم)

فرسالته صلى الله عليه وسلم ؛ رحمة من الله تعالى على عباده أجمعين منذ بعثته عليه السلام إلى يوم الدين : فلا نبي بعقبه ولا رسول يخلفه

«١» سجى : سكن ودام «٢» قلى : بغض «٣» فآوى : أنزله منزلا حسنا «٤» ضالا حائرا مترقبا الوحى «٥» عائلا : فقيرا «٦» السائل : المستفهم فى دينه او طالب حاجة «٧» فحدث : أظهر نعم الله عليك ليطمع فيك المضطر «٨» من أنفسكم : من جنسكم ليكون أشد رأفة بكم «٩» ماعنتم : عنتكم ومشقتكم أو جرمكم وإثمكم «١٠» حريص عليكم : شديد الحرص على مافيه سعادتكم

قال صلى الله عليه وسلم (أنا السيد والعاقب) يعنى آخر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . وقال تعالى (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)

(وقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنور نبي الأسلام صلوات الله عليه يتلمسون نواحى العظمة الأنسانية فيه ؛ ويتلمسون مظاهر أسماء الله جلت قدرته ، في عقله وخلقه ، وحلمه وعلمه ؛ ومع أنهم استطاعوا الوصول إلى شيء من المعرفة ؛ فقد أعياهم حتى الآن الوصول إلى كمال المعرفة ؛ وأمامهم جهاد طويل ، وبعد شاسع وطريق لانهاية له !!) م

أعيى الورى فهم معناه فليس يرى ... للقرب والبعد فيه غير منفحم (١)
كالشمس تظهر للعينين من بعد ... صغيرة وتكل الطرف من أمم (٢)
وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته ... قوم نيام تسلوا عنه بالحلم !

(والرسالة هبة الله تعالى بهبها عز وجل للمستعد لها ، والقادر على حملها والأمين عليها (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ، . ومحمد صلى الله عليه وسلم ، أعد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه إنسه وجنه ، أحمره وأسوده عجميه وعربيه ، شرقيه وغربيه ، وأعد لأن يحمل أتم رسالة وأكمل دين ولأن يختم به الأنبياء والرسل ، وليكون شمس الهداية وحده ، إلى أن تنفطر السماء [٣] وتنكدر النجوم وتبدل الأرض غير الأرض والسموات ويبرزا الخلق لله الواحد القهار) م (فباسم محمد الكريم ، تنطلق ملايين الشفاه

(١) منفحم : مغلوب بالحجة (٢) من أمم : من قرب (٣) تنفطر السماء : تتشق

وله تهتز ملايين القلوب كل يوم بكرة وأصيلا [١] : وهذه الشفاه وتلك القلوب . به تنطق ؛ وله تهتز مـــذ بزغت شمس الأسلام على المعمور منذ أربع وخمسين وثلثمائه وألف سنة . وبهذا الاسم الكريم ستنطق ملايين الشفاه ، وتهتز ملايين القلوب إلى يوم الدين : فاذا كان الفجر من كل يوم وتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهاب [٢] المؤذن بالناس (الصلاة خير من النوم) ودعاهم إلى عبادة الله ، والصلاة على محمد رسوله . فيستجيب له الألوف وآلاف الألوف فى مختلف أنحاء المعمورة وهم لا يقلون عن ثلثمائة وستين مليون مسلم وكلهم يرجون بالصلاة رحمة الله وفضله فى مطلع كل نهار ، ومغرب كل شمس . وإذا كانت الظهيرة أهاب المؤذن بالناس لصلاة الظهر ثم لصلاة العصر فالمغرب فالعشاء . وفى كل واحدة من هذه الصلوات يذكر المسلمون محمداً عبد الله ، ونبيه ، ورسوله فى ضراعة [٣] ، وخشية وإنابة [٤] وهم فيما بين الصلوات الخمس مايكادون يسمعون اسمه الكريم حتى تطمئن قلوبهم بذكر الله وبذكر مصطفاه [٥] صلى الله عليه وسلم : كذلك كانوا وكذلك سيكونون حتى يظهر الله الدين القيم [٦] ، ويتم نعمته على الناس أجمعين) هـ وكيف لايكون المسلمون كذلك إكباراً لنبيهم صلى الله عليه وسلم وتعظيما لحضرته الشريفة ، وقد وصفه القرآن الكريم بأنه عليه السلام عزيز عليه عنتنا وتعبنا وبأنه حريص على منفعتنا وبأنه (بالمؤمنين رؤف رحيم) وقد روى أنه عليه السلام قال (لوشيك أحدكم

«١» بكرة وأصيلا : أول النهار وآخره «٢» أهاب به : صاح يناديه «٣» فى ضراعة فى خضوع «٤» وإنابة . ورجوع «٥» مصطفاه - مختاره «٦» الدين القيم المستقيم

بشوكة لوجدت ألمها عندي) فنبي هذا شأنه ورسول هذه أخلاقه جدير بالتبجيل والتعظيم فى كل زمان ومكان :

عظمته صلى الله عليه وسلم

إذا تصفحنا سير العظماء الذين شاد[١] بذكرهم التاريخ . وجدنا أن محمداً عليه السلام أرفعهم ذكراً وأبقاهم أثراً : وأن نظرة فى التاريخ بأمعان لتدلنا على أن العظماء يظهرون بين أقوامهم مماشاة لتدرجهم ورقيهم غير أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن جاريا على هذه السنة (سنة النشوء والارتقاء فى الأمة) فقد جاء عليه السلام بالرسالة والعرب قد نزلوا إلى هاوية[٢] الانحلال الأجتماعى بما لم يعهد له مثيل فى تاريخ الأمم : فقد كانوا فى جهل مطبق بأحكام الدين الصحيح ومبادىء السياسة والحياة الاجتماعية . ولم يكن لهم فن يذكر أو صناعة تنشر ولم يكونوا يعرفون شيئا من العلاقات الدولية . وكانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها تتحفز[٣] لشن الغارة على جاراتها : ولم يكن من المعقول أو المألوف أن بيئة[٤] مظلمة كهذه البيئة تتمخض[٥] عن هذا الرسول العظيم الذى اجتمع له مالم يجتمع لمصلح قبله : لأنه عليه السلام كون أمة ، وأسس دولة وأقام دينا : أمور ثلاثة عظيمة لم تجتمع لأحد قبله ولا بعده !

الحق أن العناية الألهية القادرة هى التى أبرزت هذا الأنسان

---

(١) شاد بذكره : رفع من شأنه (٢) هاوية : مكان سحيق مخيف (٣) تتحفز تتأهب وتستعد (٤) البيئة : الوسط (٥) تتمخض : تعالج آلام الولادة فتلد

العظيم وأمدته بروح طاهرة عالية : وجعلته نوراً ينسخ (١) الظلمات كلها فيضيء أطراف الأرضين من مشارق الأرض إلى مغاربها

إن الرسول لنور يستضاء به مهند ٢ من سيوف الله مسلول

(ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بأذنه وسراجا منيراً * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً)

العظمة ليست وقفا على مايتم على يد صاحبها من المعجزات أو العجائب وليست وقفاً على ماهو عليه من الفصاحة والقدرة على استنباط ٣ النظريات فكل هذه مظاهر لاتلبث أن تزول

إنما العظمة الحقة هى الشخصية القوية الثابتة ؛ وهى التى تأتى بالعجائب وتأخذ بألباب ٤ المحتفين ٥ بصاحبها ؛ وتملك مشاعر الذين يجيئون من بعده ؛ وينظرون فى سيرته

الشخصية الكاملة هى التى تلقى فى قلوب أهل جيلها احتراما وهيبة لصاحبها ورغبة فيه وتحملهم على محاكاته ؛ وتحبب اليهم طاعته ؛ ثم تصبغهم بد بغته ؛ وتخلق فى نفوسهم أساساً جديداً لتقبل آرائه وعقيدته ويتصل تأثيرها هذا بقلوب الأجيال القادمة فتظل عظمته خالدة !

كان محمد صلى الله عليه وسلم ؛ هو صاحب هذه الشخصية الكاملة فلم يجيء قبله ولا بعده من يدانيه فيها : فقد بهر معاصريه حتى أقروا له بالرفعة والتفوق وكان كثير منهم من أصحاب البيوت الرفيعة والعقول الراجحة والأموال الوفيرة : كما كان كثير منهم من ذوى قرباه الذين

---

(١) ينسخ - يزيل (٢) مهند - سيف مطبوع حاد (٣) استنباط - استخراج (٤) الألباب - العقول (٥) المحتفين - المبالغين فى الاكرام (٦) المشاعر - الحواس

يعلمون حق العلم حياتيه العامة والخاصة : ولو علموا عيباً لأذاعوه أو وقفوا على نقص فيـــه لأشاعوه !

فماسبب التفافهم حوله ، وشدة إخلاصهم له ، واحتمالهم كل أذى فى سبيله ؟

ليس هناك من سبب لذلك إلا شخصيته الجذابة وأخلاقه الكريمة التى ملكت عليهم أفئدتهم ، ومشاعرهم حتى استطاع عليه السلام أن ينشىء منهم جيلا عظيما ! ولم يستطع الفلاسفة ولا عظماء الرجال قبله على اختلاف عصورهم أن ينشئوا جيلا كالذى أخرجه (محمد صلى الله عليه وسلم) أو يدانيه !

فقد كان شعبه الأسلامى مثالا حسناً فى علو النفس وصفاء الطبع ورقة الجانب ، وطهارة الخلق ، وعظيم الأمانة ، وإقامة العـــدل والخضوع للحق ، ورجاحة اليقين ، إلى غير ذلك من أمهات الفضائل :

من أجل ذلك كله كان من الواجب بيان طرف مما آتاه الله من الفضائل فى نسبه الشريف ، ونشأته الطاهرة ، وأعماله العالمة ، ليتبين للعالم أجمع ، أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، هو الأسوة الحسنة العالمة لتأديب الأفراد ، وسياسة الجماعات والامم ، وأن جميع الخلال الحميدة والأخلاق الفاضلة مقتبسة من حاله مأخوذة عنه ، وحسبك قول الخالق عز وجل فى وصف أخلاقه الكريمة (وإنك لعلى خلق عظيم)

نسبه الشريف

مناقب أجداده عليه السلام

محمد صلى الله عليه وسلم ، من سلالة آباء كرام ، كلهم ســـادة

وقادة ؛ ولهم مكان مكين ، ومقام بين العرب عظيم ؛ وقد اشتهروا بالحكمة والشجاعة والأقدام ؛ والكرم والشرف ؛ والعفة والآباء والشمم وعلو النفس

فهو صلى الله عليه وسلم : محمد بن عبد الله ؛ بن عبد المطلب ؛ بن هاشم ؛ بن عبد مناف ؛ بن قصى ؛ بن كلاب ؛ بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى ؛ بن غالب ، بن فهر ؛ بن مالك ؛ بن النضر ؛ بن كنانة ، بن خزيمة ابن مدركة ، بن الياس ؛ بن مضر ؛ بن نزار ؛ بن معد ؛ بن عدنان

ولا يختلف النسابون فى نسبه الشريف الى معد بن عدنان ولكنهم اختلفوا من عدنان إلى إسماعيل عليه السلام . وأجمعوا على أن نسبه الشريف ينتهى إلى إسماعيل عليه السلام على كل حال

بشارة عيسى عليه السلام
بمولده ورسالته

لقد بشر عيسى عليه السلام ، بمولد محمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته فى مواضع كثيرة من إنجيله ، مما لا يختلف فيه اثنان فقد ورد فى إنجيل (برنابا) أحد الحواريين رضى الله عنهم (والحواريون صحابة عيسى عليه السلام) وهو الأنجيل الذى ينطبق ما فيه على المنطق الصحيح وينطوى على أصدق تعاليم المسيح عليه السلام وأقواله : فقد جاء فى الفصل السابع والتسعين منه ما يأتى :—

١ — الآية الخامسة عشرة (قال الله اصبر يا محمد لأنى لأجلك

أريد أن أخلق الجنة والعالم وجماً غفيراً [١] من الخلائق التي أهبها لك حتى إن من يباركك [٢] يكون مباركاً ومن يلعنك يكون ملعوناً »

٢ — وجاء بالآية السادسة عشرة (وقد أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولا للخلاص وتكون كلمتك صادقة ، حتى إن السماء والارض تهنان [٣] ولكن إيمانك لا يهن أبداً)

٣ — وجاء بالآية السابعة عشرة (إن إسمه المبارك محمد)

٤ — وجاء بالآية الثامنة عشرة (حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا الله أرسل لنا رسولك : يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم » اهـ

والآية السابعة عشرة وهي (إن إسمه المبارك محمد) تفسر المقصود من بشارة عيسى عليه السلام في القرآن الكريم ، وتبين أن المراد من لفظ (أحمد) هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهما إسمان كريمان لذات واحدة ، هي ذاته الشريفه صلى الله عليه وسلم قال تبارك وتعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)

حتى إذا كانت ليلة الأثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول على القول المشهور الموافق ٢٠ من ابريل عام سبعمائة واحدى وخمسين من ميلاد عيسى صلى الله عليه وسلم ، بات الرهبان والمتكهنون يرقبون الساعة التي يتمخض فيها الزمان عن ذلك المولود السعيد الذي تعلو به

---

(١) جم غفير : جمع عظيم (٢) يباركك : يعظمك ويحترمك (٣) تهنان : تضعفان

كلمة الحق ويزهق الباطل ويحمل عن العالم إصره [١] والأغلال التى عليه

وفى فجر ذلك اليوم السعيد، تأيدت النبوات والبشائر : فانطلق سهم الله من كنانته ، وبرز الى الوجود ذلك المولود الكريم : فاذا هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

مولده صلى الله عليه وسلم

لما بلغت سن عبد الله والد المصطفى صلى الله عليه وسلم نحو أربع وعشرين سنة خرج جده عبد المطلب بن هاشم : يولده عبد الله يريد تزويجه من أشراف العرب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة محتداً [٢] وشرفا فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وتجتمع هى وزوجها عبد الله فى الجد الخامس لرسول الله (كلاب ابن مرة) وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسباً وموضعاً فحملت

بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبعد زواج عبد الله بقليل خرج من مكة قاصداً الشام فى تجارة ولما أقبل من الشام نزل بالمدينة وهو مريض وبها أخواله من بنى النجار فأقام بها حتى توفى لشهرين من الحمل بابنه محمد صلى عليه وسلم ودفن فى دار النابغة الجعدى وكانت سنه خمساً وعشرين سنة على القول وترك عبد الله جاريته أم أيمن بركة الحبشية ، وخمسة جمال وبعضاً من الغنم وقد رثته آمنة رضى الله عنها فقالت :

(١ إصره : ذنبه وما يثقله (٢) محتده : أصله ونسبه

عفا[1] جانب البطحاء[2] من آل هاشم ... وجاور لحداً خارجاً فى الغماغم[3]
دعته المنايا[4] دعوة فأجابها ... وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه فى التزاحم
فان تك غالته المنون وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم

ولما انقضت مدة حمله وضعته صلى الله عليه وسلم : فى فجر يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل، ولأربعين سنة خلت من حكم كسرى أنو شراون ملك الفرس يوافق العشرين من ابريل سنة خمسمائة وإحدى وسبعين ميلادية بمكة المكرمة فى دار عقيل بن أبى طالب بن عم النبى صلى الله عليه وسلم . ونزل على يد الشفا أم عبد الرحمن بن عوف فهى قابلته رافعاً صلى الله عليه وسلم بصره إلى السماء واضعاً يده بالارض : وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك

وحين ولدته أمه عليه الصلاة والسلام . أرسلت إلى جده عبد المطلب وكان يطوف بالبيت الشريف تلك الليلة فجاء اليها فقالت يا أبا الحارث (ولد لك مولود عجيب !) فذعر عبد المطلب وقال (أليس بشراً سوياً؟) فقالت نعم : ولكنه سقط ساجداً ثم رفع رأسه وأصبعيه إلى السماء فأخرجته ونظر إليه وأخذه ودخل به الكعبة المكرمة وعوذه ودعا له ثم أخرجه ودفعه إليها وهو الذى سماه (محمداً) فقيل له كيف

---

(١) عفا : خلا (٢) البطحاء : مسيل فيه حصى صغير (٣) الغماغم : الاماكن الموحشة
(٤) المنايا : جمع منية وهى الموت (٥) المنون . الموت

سميت بهذا الاسم وليس لأحد من آبائك ؟ فقال إنى لأرجو أن يحمده أهل الأرض جميعهم !

وكانت تلك السنة التى حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج ! فان قريشاً كانت قبل ذلك فى جدب وضيق عظيم فاخضرت الأرض وحملت الأشجار وأتاهم الغيث والمطر من كل جانب فى تلك السنة ! ومن عجيب ولادته ما روى من ارتجاج إيوان كسرى (أى قصر ملكه) وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته وذلك إشارة إلى أنه لم يبق من ملوكهم المستبدين بالملك إلا أربعة عشر ملكا . فهلك عشرة منهم فى أربع سنين وهلك أربعة إلى زمن عثمان رضى الله عنه ومن ذلك خمود نار فارس التى كان يعبدها الفرس وكان لها على ما يقال ألف عام لم تخمد

ولله در الأمام البوصيرى إذ يقول فى همزيته

وتداعى إيوان كسرى ولولا ... آية منك ماتداعى البناء !

وغدا كل بيت نار وفيه ... كربة من خمودها وبلاء

وفى هذا المعنى يقول بعض العلماء أيضاً :—

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت ... بشرى الهواتف فى الأشراق والطفل (١)

وصرح كسرى تداعى من قواعده ... وانتض منكسر الأرجاء ذا ميل

ونار فارس لم توقد وما خمدت ... مذ ألف عام ونهر القوم لم يسل !

خرت لمبعثه الأوثان وانبعثت ... ثواقب الشهب ترمى الجن بالشهب !

---

(١) الطفل ـ السحاب أو المطر

مرضعاته صلى الله عليه وسلم

أول من أرضعته صلى الله عليه وسلم من النساء أمه آمنة ، ثم ثويبة الأسلمية جارية أبي لهب عمه، ثم خولة بنت المنذر، ثم أم أيمن ، وامرأة سعدية غير حليمة، وثلاث نسوة من العواتك ، وأكثرهن إرضاعاً له (حليمة بنت ذؤيب السعدية)

وربما كان في الأمكان أن تقوم والدته السيدة آمنة برضاعه. ولكنه قد كان من عادة العرب إذا ولد لهم مولود يتلمسون له مرضعة من غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد، وأفصح له ! فجاءت نسوة من بني سعد إلى مكة يتلمسن الرضعاء في سنة شديدة القحط ليرتزقن ومعهن حليمة السعدية . فكل امرأة أخذت رضيعاً إلا حليمة فانها لم تجد ، وقد كانت تحدث أنها خرجت مع زوجها الحارث بن عبد العزى وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر ، قالت وهي سنة شهباء (١) لم تبق لنا شيئا فخرجت على أتان لي قمراء (في لونها بياض) ومعنا شارف (٢) لنا والله ما تبض (٣) بقطرة وما ننام ليلنا من صبينا الذي معنا لبكائه من الجوع وما في ثدي ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذيه : ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج . فخرجت على أتاني تلك فلقد أدمت (٤) بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً (٥) . حتى قدمنا مكة نتلمس الرضعاء فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى

(١) سنة شهباء ـ سنة جدب وقحط (٢) الشارف ـ الناقة المسنة (٣) تبض ـ ترشح
(٤) أدمت بالركب ـ اطلت عليهم المسافة (٥) العجف ـ الهزال

الله عليه وسلم ، فتأباه إذا قيل إنه يتيم ! وذلك أنا إنما كنا نرجوا لمعروف من أبي الصبي فكنا نقول (وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟) فكنا نكرهه لذلك : فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً فقلت والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه . فقال بعلي (لا بأس عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة) فذهبت إليه فأخذته وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره ! فلما أخذته رجعت به إلى رحلي [١] فلما وضعته في حجري ! أقبل على ثديي بما شاء من لبن ! فشرب حتى روى وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك ! وقام زوجي إلى شارفنا فاذا إنها لحافل [٢] فحلبنا منها ماشرب وشربت معه حتى انتهينا رياً ، فبتنا بخير تلك الليلة ! وقال صاحبي حين أصبحنا (تعلمي [٣] والله ياحليمه لقد أخذت نسمة مباركة ، فقلت والله إني لأرجو ذلك) ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لبنا ، فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع : حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم (ويلكم ! إسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب) فتروح أغنامهم جياعاً ماتبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا . فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير ! حتى مضت سنتاه وفصلته [٤] وكان يشب شبابا لايشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى

---

(١) الرحل ـ مسكن الرجل وما يستصحبه من متاع (٢) الحافل ـ الممتلئة لبنا
(٣) تعلمي ـ إعلمي (٤) الفصال : الفطام

كان غلاما جفرا [١] فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا: لما كنا نرى من بركته فلم نزل بها حتى ردته معنا!

وإلى قصة إرضاعه صلى الله عليه وسلم يشير الأمام البوصيري في همزيته إذ يقول

وبدت في رضاعه معجزات ... ليس فيها عن العيون خفاء!
إذ أبته ليتمه مرضعات ... قلن ما في اليتيم عنا غناء!
فأتته من آل سعد فتاة ... قد أبتها لفقرها الرضعاء!
أرضعته لبانها فسقتها ... وبنيها ألبانهن الشاء [٢]!
أخصب العيش عندها بعد محل [٣] ... إذ غدا للنبي منها غذاء!
(وإذا سخر الآله أناسا ... لسعيد فأنهم سعداء!!)

الحض على قتله صغيرا

وكانت حليمة كلما مر بها جماعة من اليهود وحدثتهم بشأنه صلى الله عليه وسلم: حضوا على قتله وكلما عرضته على العرافين في الأسواق صاحوا بقتله قائلين (اقتلوا هذا الصبي) فليقتلن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم!

وعن حليمة رضي الله عنها أنه مر بها جماعة فقالت: ألا تحدثوني عن ابني هذا؟ حملته أمه كذا! ووضعته كذا! ورأت عند ولادته كذا! وذكرت لهم كل ما سمعته عن أمه. وكل ما رأته هي بعد أن أخذته. وأسندت الجميع إلى نفسها! كأنها هي التي حملته ووضعته!

---

(١) غلام جفر - تام غليظ شديد. (٢) الشاء: النعاج. (٣) المحل: الجدب

فقال أولئك اليهود بعضهم لبعض (اقتلوه) ثم قالوا لها : أو يتيم هو ؟ فقالت : لا ! هذا أبوه وأنا أمه . فقالوا : لو كان يتيما قتلناه (لأن يتمه من علامات نبوته عندهم)

وعن حليمة أيضاً رضى الله عنها أنها نزلت به صلى الله عليه وسلم سوق عكاظ وكانت سوقا لأهل الجاهلية بين الطائف ونخلة . وكانت العرب إذا قصدت الحج أقامت به شهر شوال يتفاخرون ويتناشدون الأشعار فلما وصلت به حليمة سوق عكاظ رآه كاهن من الكهان فقال (ياأهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام ! فان له ملكا[1]) فالتت به وحادت عن الطريق فنجاه الله وحفظه ولله در البوصيرى إذ يقول :—

وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع[2] وعن عال من الأطم[3]

وقد رأت حليمة السعدية من النبي صلى الله عليه وسلم الخير والبركة وأسعدها الله بالأسلام هى وزوجها وبنوها فهنيئا لهم

نشأته صلى الله عليه وسلم

توفى والد المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل ولادته ؛ ولم يترك له كثير مال . وفى السنة السادسة من عمره توفيت والدته فاحتضنه جده عبد المطلب وكان له محبا مكرما وفى الثامنة من عمره توفى جده وأوصى به قبل وفاته عمه أبا طالب شقيق أبيه عبد الله وكان أبو طالب شهما كريما جواداً محباً لرسول الله ابن أخيه ! ولكنه كان فقيراً لا يملك كفاف أهله . فكانت كفالته لابن أخيه محمد خيراً وبركة عليه وعلى

---

(١) إن له ملكا : شأنا عظيما (٢) الدرع : القميص الواقى فى الحرب
(٣) الأطم : الحصون

أولاده ولذا بقى أبو طالب يدافع عن رسول الله ويحميه من أذى المشركين حتى آخر رمق من حياته وقد قال فى ذلك :—

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أوحذارى سبة لوجدتنى سمحاً بذاك مبينا

وكان صلى الله عليه وسلم على ما به من فقر ويتم ، فقد فيه الأبوين معاً ينمو ويتكامل بدناً وعقلاً ، وفضيلة وأدباً حتى عرف بين أهل مكة فى ريعان شبابه بالأمين . فكانوا يودعونه ودائعهم ويستحفظونه أماناتهم — ولما اختلفت قريش حين تجديد بناء الكعبة فيمن يضع الحجر الأسود حكموا أول داخل عليهم . فاذا محمد صلى الله عليه وسلم داخل ، وكان ذلك قبل النبوة فقالوا (هـــذا محمد ! هذا الأمين ! قد رضيناه حكماً)

ولم يكن صلى الله عليه وسلم فى نشأته جاريا على المألوف فى الصبيان من تأثر عقولهم ونفوسهم بما يرون ويسمعون ويحسون فى بيئتهم . ولو جرى الأمر على ذلك لشارك قومه فى تعظيم الأصنام وعبادتها : ولانغمس فى ضلالات الوثنية وأوهامها ولـكن عناية الله سبحانه قد تكفلت بتربيته فنشأ على أكمل ما تتحلى به النفوس من جميل الصفات وحميد الخصال : فلم يسجد لصنم ، ولم يشارك قومه فى عيد من أعياد الأصنام ، ولم يذق لحوم قرابينها ، ولم يحتفل مع قومه بموسم من مواسمها

فشب صلى الله عليه وسلم والله يحرســـه ويرعاه ويحفظه من

أدناس[١] الجاهلية لما أراده الله عز وجل له من كرامة ورسالة . فجعله أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حسباً ، وأعطفهم جواراً ، وأرجحهم عقلا ، وأصدقهم قولا ، وأعظمهم أمانة ، لأنه استوفى من مكارم الأخلاق كل مكرمة لم ينلها إنسان قبله ولا بعده لأنهم لم يشاهدوا نشأة كعجيب نشأته : فقد ملأ عليهم مشاعرهم[٢] بصبره وحلمه ، ووفائه وزهده ، وجوده ونجدته ، وصدق لهجته ، وكرم عشرته ، وتواضعه وعلمه ، وعفوه وثباته — وقد أدبه الله تعالى أدباً لم تجر العادة بأن تزين به نفوس اليتامى من الفقراء ولم يكن له مؤدب ظاهر يعتنى بتثقيفه أو مرب معروف يتولى تهذيبه : ولكنها عناية الله تحفظه وترعاه :—

وإذا العناية لاحظتك عيونها * * * نم فالمخاوف كلهن أمان

فاكتهل[٣] صلى الله عليه وسلم وهو على أكمل ما تتحلى به نفس من جميل الصفات ، وحميد الخصال ، حتى لقد حدث عن نفسه بنفسه ولا عجب فقال (أدبنى ربى فأحسن تأديبى)

ولله در البوصيرى إذ يقول :—

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فأن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

لو ناسبت قدره آياته عظما ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

---

١ ، الادناس : الاوساخ (٢) مشاعرهم - حواسهم «٣» اكتهل : صار كهلا والكهل من جاوز الثلاثين و وخطه الشيب

أكله من ثمرة عمله وكسب يده

شب صلى الله عليه وسلم ، يعيش من ثمرة عمله و كسب يده وكان يشتغل بالتجارة بذمة وأمانة وعفة وصدق حتى استفاض[١] بين الناس ماهو عليه من كريم الأخلاق ، وعظيم الأمانة ، وصدق الحديث فعرضت عليه السيدة خديجة بنت خويلد أن يخرج فى مالها للشأم ومعه ميسرة غلامها ليتجر لها ، وكانت سيدة نساء قومها شرفاً وعقلة وأدباوكانت سنه إذ ذاك خمساً وعشرين سنة ، فأذن له عمه أبو طالب أن يجيب خديجة إلى ماطلبت فخرج مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير[٢] حتى قدم بصرى من الشأم وهى مدينة على طريق دمشق فنزلا فى ظل شجرة ، فلما رآه نسطور الراهب ، قال (مانزل تحت هذه الشجرة قط إلانبى) ثم قال لميسرة (أفى عينيه حمرة؟) قال نعم لاتفارقه : قال نسطور (هو نبى وهو آخر الأنبياء) وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة[٣] واشتد الحر : يرى ملكين يظلان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس ، فوعى ذلك كله ميسرة : وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون : ولما رجعوا إلى مكة أخبر ميسرة خديجة بما قال الراهب نسطور فلما رأت خديجة الربح الكثير وهذه البركة العظيمة أضعفت لمحمد الأجر ضعف ماسمت له قال (مستر مويو) عند ذكر هذه الرحلة (إن محمداً صلى الله عليه وسلم ، لم يكن فى وقت من الأوقات طامعاً فى الغنى أنما كان سعيه لغيره ولو ترك الأمر لنفسه

---

(١) استفاض الخبر ـ شاع (٢) العير بكسر العين : الأبل التى تحمل الطعام
(٣) الهاجرة . نصف النهار عند اشتداد الحر

لآثر أن يعيش فى هدوء وسلام ، قانعاً بحالته ، ولما فكر فى رحلة كهذه ولكن لما عرض عليه عمه السفر مع ميسرة غلام خديجة ، شعرت نفسه الكريمة بضرورة تفريج كربة عمه أبى طالب فأجابه مسروراً)

ولما رأته السيدة خديجة من بركة رسول الله وأمانته وطهارة ذمته لم تتردد فى أن تخطب المصطفى لنفسها بعد أن عاد من هذه الرحلة الميمونة إلى مكة وكانت امرأة حازمة جلدة شريفة غنية جميلة من أواسط قريش نسباً ، وأعظمهم شرفا . ولم تر بأساً من أن ترسل إلى رسول الله من يرغبه فى الزواج . وقيل إنها أرسلت اليه أختها فقال ما بيدى ما أتزوج به : فقالت : فأن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال فمن هى ؟

قالت له خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى . قال : فأنا أفعل ! . فذهبت فأخبرت خديجة فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر . وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته فزوجه أحدهم منها وكانت سنه عليه السلام إذ ذاك خمساً وعشرين سنة ؛ وسن خديجة يومئذ أربعين سنه وكانت أيما [1]

وقد تزوج خديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بكر : عتيق بن عائذ بن عبد الله وولدت له هنداً بنت عتيق ومات عنها عتيق !

وعاش معها صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة على أتم وفاق وأحسن ألفة وصفاء غبطة [2] ولم يتزوج عليها قط طوال هذه السنين

---

١ الأيم - من لا زوج لها ٢ الغبطة - الفرح والسرور

حتى وافتها منيتها رضى الله عنها . وهى فى سن الخامسة والستين وكانت رضى الله عنها : أول امرأة صدقت برسالته . وآزرته [1] فى أول أمره بمالها وعقلها وتدبيرها . ولذا قال عليه الصلاة والسلام فى شأنها (آمنت بى حين كفر بى الناس وصدقتنى حين كذبنى الناس وأعطتنى مالها حين حرمنى الناس)

بنوه صلى الله عليه وسلم وبناته

ولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولاده كلهم إلا ابراهيم فانه من مارية القبطية . وقد أهداها المقوقس عظيم القبط إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأهدى إليه معها أختها سيرين ، وهى التى وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضى الله عنه

وأكبر بنيه القاسم وبه يكنى . وقد ولد قبل النبوة بمكة وتوفى وهو ابن سنتين . وهو أول من مات من أولاده عليه السلام . ثم ولد له زينب بعد القاسم ثم رقية . ثم فاطمة . ثم أم كلثوم . وآخر أولاده عبد الله ولد فى الأسلام وهو (الطيب والطاهر) وهؤلاء الستة كلهم من خديجة . ومات بعد القاسم عبد الله . فقال العاص بن وائل السهمى (قد انقطع ولده فهو أبتر) فأنزل الله قوله تعالى (إن شانئك [2] هو الأبتر [3])

أما إبراهيم فانه ولد سنة ثمان للهجرة بالمدينة ومات بها . وهو ابن ستة عشر شهرا وقيل ثمانية عشر فى سنة عشر من الهجرة . أما بناته عليه السلام فكلهن أدركن الأسلام فأسلمن وهاجرن مع النبى صلى الله

(١) آزرته : عاونته وساعدته (٢) شانئك : باغضك (٣) الابتر . المقطوع

عليه وسلم : وتزوج زينب أبو العاص بن الربيع وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة لأمها وأبيها : وفاطمة تزوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه وكانت أحب أولاد النبي عليه السلام إليه . فقد روى (فاطمة بضعة منى فمن أغضبها فقد أغضبنى) وقد ولدت لعلي بن أبى طالب كرم الله وجهه حسناً وحسيناً ومحسناً وأم كلثوم وزينب فمات محسن صغيراً . وتوفيت فاطمة رضى الله عنها بعد وفاة والدها عليه السلام ببضعة شهور ولم يكن لرسول الله عقب إلا منها

ورقية وأم كلثوم تزوجهما عثمان بن عفان فتزوج أم كلثوم بعد موت رقية ولهذا سمى ذا النورين !

زوجاته صلى الله عليه وسلم

حكمة تعدد الزوجات

قضى النبي صلى الله عليه وسلم شبيبته وطائفة من كهولته ولا زوج له إلا خديجة رضى الله عنها . وقد تزوجها قبل البعثة وهو ابن خمس وعشرين وكانت سنها أربعين سنة . وماتت رضى الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنوات

وبعد موتها ببضعة أشهر تزوج صلى الله عليه وسلم (أولا) (سودة) وكانت أيما مات عنها زوجها عقب رجوعه من الهجرة الثانية إلى الحبشة وقد كانت أسلمت رضى الله عنها وخالفت بنى عمها وأقاربها فما أجمل ما عمله النبي من الرحمة بها وتعويضها خيرا مما فقدت

(وقدمات) أبو طالب لشهر من موت خديجة ففقد النبي بموته رجلا عظيما كان

يناضل عنه ويدفع عنه أذى أعدائه ما استطاع فأخذ الأمر إذذاك يشتد على النبي صلى الله عليه وسلم فرأى أن يوثق [١] الرباط بينه وبين قريش فعقد ثانيا على (عائشة رضى الله عنها) وهى إذ ذاك بنت سبع . فان أباها الصديق رضى الله عنه كان صدراً وجيهاً فى قريش واسع المال عزيز الجانب . يدلك على ذلك مسارعة النبى صلى الله عليه وسلم بالعقد عليها مع أنها قاصر وأنه لم يبن [٢] بها إلا بعد ذلك بنحو سنتين فلم تكن وقتئذ مطمعاً لقضاء شيء من المآرب [٣] حتى يطمح [٤] اليها نظر النبى عليه السلام أو غيره — وكانت السيدة عائشة أحب أزواجه اليه إذ كانت فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الرواية عن رسول الله عارفة بكلام العرب وأشعارهم . روى عنها الحديث جماعة كثيرون من الصحابة والتابعين وروى أنه عليه السلام قال (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) يعنى عائشة رضى الله عنها — وتوفيت إلى رحمة الله ولم تعقب ولم يتزوج النبى بكراً غيرها

لمثل الأسباب التى من أجلها تزوج عليه السلام السيدة عائشة تزوجه (رابعاً) بالسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت تحت خنيس بن عبد الله بن حذافة السهمى وكان رسول الله أرسله إلى كسرى — ولما مات خنيس وتأيمت حفصة ذكرها أبوها عمر لأبى بكر الصديق وعرضها عليه فلم يرد عليه أبو بكر كلمة . فغضب

---

(١) وثق الرباط : قواه وأحكمه (٢) بنى على زوجته : دخل بها (٣) المآرب: الحاجات

(٤) يطمح اليه نظره : يرتفع اليه بصره

عمر وعرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله فقال عثمان ما أريد أن أتزوج اليوم . فانطلق عمر إلى رسول الله فشكا اليه عثمان فقال رسول الله (يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة) ثم خطبها إلى عمر ، فتزوجها رسول الله بعد غزوة أحد ، سنة ثلاث للهجرة وكانت سنها عشرين سنة وتوفيت سنة خمس وأربعين هجرية . فى خلافة مروان بن الحكم وكان عمرها ستين سنة ، وكانت رضى الله عنها ، صوامة قوامة ، تقية صالحة

(خامسا) ثم تزوج زينب بنت خزيمة . سنة ثلاث للهجرة ويقال لها أم المساكين . وكانت تحت عبد الله بن جحش . فقتل عنها يوم أحد ولم تلبث عند رسول الله إلا نحو شهرين أو ثلاثة وتوفيت فى حياته

(سادسا) ثم تزوج زينب بنت جحش وهى بنت عمته صلى الله عليه وسلم سنة خمس للهجرة بأمر من الله عز وجل قال تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً[1] زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم[2] إذا قضوا منهم وطراً) وهى أول من مات من أزواجه فى خلافة عمر وتكنى أم الحكم . وكانت قديمة الأسلام تزوجها زيد بن حارثه مولى رسول الله قبل الرسول . ليعلموا كتاب الله وسنة رسوله وبسببها نزل قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) وبسببها أيضاً نزلت آية الحجاب وهى قوله تعالى (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن)

(١) الوطر : الحاجة (٢) ادعياؤهم : المتبنون لهم

(سابعا) ثم تزوج صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان وإسمها رملة وأمها صفية بنت أبى العاص عمة عثمان بن عفان أسلمت قديما بمكة وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها فتنصر بالحبشة كما قيل ومات بها وأبت هى أن تتنصر وثبتت على إسلامها فتزوجها رسول الله وهى بالحبشة سنة ست للهجرة وأصدقها النجاشى من عنده أربعمائة دينار ، وكان ذلك فى الهجرة الثانية

وقد كان أبوها أبو سفيان ألد بنى أمية عداوة لرسول الله وللمسلمين فتزوج النبى عليه السلام (أم حبيبة) ليكون بينه وبين ألد أعدائه بنى أمية لحمة نسب تكون له فى الجملة وصلة إلى تقليل أذاهم عنه : على أن النبى صلى الله عليه وسلم كافأها بزواجه إياها لأنها خرجت من ديارها فارة بدينها . ولمكانتها فى قومها !!

(ثامنا) ثم تزوج عليه السلام (أم سلمة) بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومى وإسمها هند . سنة أربع للهجرة وكانت قبل النبى صلى الله عليه وسلم عند أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى الصحابى . وكانت من المهاجرات إلى الحبشة وإلى المدينة وكانت سنها حين تزوجها رسول الله ثلاثين سنة وفى الحديث الشريف (ما من مسلم أصابته مصيبة فقال إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم آجرنى فى مصيبتى وعوضنى خيراً منها إلا فعل الله به ذلك) قالت أم سلمة قلت ذلك حين مات زوجى أبو سلمة فعوضنى الله خيراً منه . وهو زواجى برسول الله صلى الله عليه وسلم !

(تاسعا) ثم تزوج عليه السلام ميمونة بنت الحارث وهى خالة خالد بن الوليد الذى صار من أعظم أبطال الأسلام وقوادهم وكانت قبل رسول

الله عند أبي رهم العامري تزوجها رسول الله سنة سبع للهجرة

(عاشرا) ثم تزوج (صفية) بنت حيي وكانت من أشرف بيوت اليهود ثم صارت سبياً بعد وقعة خيبر وكانت مما اصطفاه صلى الله عليه وسلم من الغنائم لأنها بنت ملك من ملوك اليهود فلا تصلح إلا له صلى الله عليه وسلم : وقد تنافس[1] المسلمون فيها لما وقعت في نصيب دحية بن خليفة الكلبي — وعن ابراهيم بن جعفر عن أبيه قال (لما دخلت صفية على النبي صلى الله عليه وسلم . قال لها (لم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة . حتى قتله الله) فقالت : يارسول الله إن الله يقول في كتابه العزيز (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فقال لها رسول الله : اختاري . فان اخترت الأسلام أمسكت لنفسي — وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك ـ فتلحقي بقومك. فقالت يارسول الله : لقد هويت الأسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك[2] ومالي في اليهودية أرب[3]، ومالي فيها والد ولا أخ . وخيرتني الكفر والاسلام فالله ورسوله أحب إلي من العتق وان أرجع إلى قومي : قال فأمسكها رسول الله لنفسه وقد رضيته بعلا[4] مع أنه كان لها أن ترجع إلى أهلها بعد العتق

(١١) وتزوج صلى الله عليه وسلم (جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار) سنة خمس للهجرة وقد سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فأراد النبي أن يعلم المسلمين بالعمل ماينبغي أن يصنعوا عما في أيديهم من الأسرى من التحرير والكرامة وأن يجعلن سيدات

---

(١) تنافسوا فيها : رغبوا فيها على وجه المباراة (٢) الرحل : مسكن الرجل وأثاثه

(٣) الارب ـ الحاجة (٤) البعل : الزوج

البيوت فتزوجهـــا ! قالت عائشة رضى الله عنها . أصاب رسول الله صلى الله عليه وســـلم نساء بنى المصطلق فأخرج الخمس منه فوقعت جويريه بنت الحارث بن أبى ضرار فى سهم ثابت بن قيس فقالت يارسول الله أنا جويريه بنت الحارث سيد قومه وقد أصابنى من الأمر ما قد بلغت وقد كاتبنى ثابت على تسع أواق فأعنى على فكاكى . فقال عليه السلام : أوخير من ذلك ؟ فقالت ماهو ؟ فقال أؤدى عنك كتابك(١) وأتزوجك ؟ فقالت نعم يارسول الله ؟ فقال قدفعلت! وطار الخبر إلى الناس فقالو (أصهار رسول الله يسترقون ؟) فأعتقوا ما كان فى أيديهم من سبى[٢] بنى المصطلق فبلغ عتقهم مائة بيت بتزوجه عليه السلام إياها : فانظر إلى ماقصد الرسول عليه السلام بتزوجه بها ! !

وهكذا كان من سراريه[٣] عليه السلام ١٢ مارية القبطية وهى جارية أهداها المقوقس عظيم القبط إلى رسول الله فتزوجها وكان منها ولده إبراهيم عليه السلام وقد أسلمت رضى الله عنها

(١٣) تزوج عليه السلام خولة بنت حكيم وهى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم كما تزوج امرأة تسمى (١٤) (عمرة) فطلقها ولم يبن بها أى لم يدخل عليها وذلك أن أباها قال له (وأزيدك أنها لم تمرض قط) فقال عليه السلام : (ماهذه عند الله من خير) وطلقها كما عقد على امرأة (١٥) يقال لها أميمة بنت النعمان فطلقها قبل أن يدخل بها وخطب امرأة من بنى مرة بن عوف فردها ؛ أبوها وقال إن بها برصاً فلما رجع اليها وجدها برصاء جزاء وفاقاً لأنه لم يصدق مع الرسول ! !

---

(١) كتابك : ماطلب منك (٢) السبى : الأسرى (٣) السرارى : الإماء جمع أمة
(٤) ردها أبوها . لم يوافق على زواجها من الرسول

وقد ارى القول أن رسول الله عقد على خمس عشرة امرأة دخل بثلاث عشرة فقط وتوفى عن تسع زوجات

وجميع أزواجه عليه السلام أمهات المؤمنين فيجب احترامهن واعتقاد أنهن أفضل النساء قال تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)

رد مفتريات المفترين

قد اعترض بعض الذين كتبوا فى سيرة رسول من المسيحيين على كثرة تزوجه وزعموا أنه كان لأغراض نفسانيه ولم يكن للتشريع !! (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) والحقيقة أن تعدد زوجاته لم يكن بدافع شهوة بل انه أراد بذلك أن يوجد بينه وبين أصحابه وكبار قومه صلة قوية وروابط متينة بوساطة المصاهرة إذ أن ذلك مما يساعده ويشد أزره[1] فى الدفاع عن مبدئه السامى ونشر الدعوة إلى الاسلام : أما أنه لم يكن شهوانياً فأمر لا ينكر لظهوره من حياته الشريفة وأطواره الطاهره التى أساسها عصمة الله تعالى له من كل ما يمس مقام النبوة والرسالة — ولأنه عليه السلام تزوج السيدة خديجة وهو فى عنفوان[2] شبابه فى سن الخامسة والعشرين ومكث معها خمساً وعشرين سنة على أتم وفاق وأعظم ألفة إلى أن توفيت رضى الله عنها ولم يتزوج عليها وكان عمره اذ ذاك خمسين سنة وهو أعظم رسول وخاتم الأنبياء والمرسلين — فاذا لم يكن إلى هذا العمر رجل شهوة

(١) أزره : ظهره (٢) عنفوان شبابه : أوله

بل كان رجلا عظيما قانعاً بزوجة واحدة — فهل من العدل أن يقال بعد ذلك إنه كان شهوانيا ؟؟

عنى أن عقلاء الأفرنج أدركوا حقيقة هذه المسألة بعد بحوث قيمة فى حياته الشريفة فردوا على ما افتراه بعضهم من قصار النظر فقد قال الفيلسوف الانجليزى (توماس كارليل) (وما كان محمد أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً . وشد ما نجور ونخطىء إذا حسبناه رجلا شهويا لاهم له إلا قضاء مآربه من الملاذ . كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت . لقد كان زاهدا متقشفاً فى مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله . وكان طعامه عادة الخبز والماء وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار ! وانهم ليذكرون . ونعم ما يذكرون ! أنه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده . فهل بعد ذلك مكرمة ومعجزة ! فحبذا محمد من رجل خشن اللباس خشن الطعام مجتهد فى الله قائم النهار ساهر الليل دائبا فى نشر دين الله :)

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

على أن زواج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان فى الحقيقة ونفس الأمر بأمر إلهى بطريق الوحى للتشريع ولحكم عالية لا يدركها إلا العقلاء المنصفون ، أشار اليها القرآن الكريم بقوله تعالى (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدورا) فلم يكن محمد فيما أتاه بدعا من الرسل قال تعالى (قل ما كنت بدعاً من الرسل) أى لم يكن هو أول من سن تعدد الزوجات فذانك موسى وداود عليهما السلام تزوجا كثيراً

من النساء . وهما ذانك الرسولان اللذان لا يسع نصرانياً ولا يهودياً إنكار نبوتهما أو احتقار ماأتيا به من الصحف السماوية . وقد كان لسليمن بن داود عليهما السلام ثلثمائة امرأة وثلثمائة سرية كما كان لوالده داود عليه السلام على زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزواجه أورياء مائة امرأة وإلى ذلك يشير القرآن الكريم (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى فى الخطاب) ونبينا صلوات الله عليه لم يدخل إلا بثلاث عشرة امرأة لحكم إلهية عالية كان لا بدله من امتثال أمر ربه الكريم فيها !

منها أن كثيراً من الأنبياء عليهم السلام كموسى والسيد المسيح وغيرهم حاولوا إبطال عادة الثأر فى الجاهلية وحقن الدماء فلم يفلحوا لما أن ذلك كان امراً راسخاً فى نفوس العرب أشربته قلوبهم فلم ينجح فيهم دواء حتى أتى (محمد عليه الصلاة والسلام) فجعل من عقود انكحته ما ربط كثيرا من القبائل بعضها ببعض وبذا قرب ما بينها وأزال كثيرا من احقادها حتى قلت فى أيامه صلى الله عليه وسلم الغارات وكاد يتناسى أمر الثأر!!

زهده فى الدنيا وتعبده قبل الرسالة

قد كان لمحمد صلى الله عليه وسلم ما يجتنيه من ثمرة عمله ومن مال زوجته خديجة رضى الله عنها ما يرفه [1] معيشته وما يكون عونا له على أن يبلغ ما عليه اكابر قريش من الترف والنعيم ولكنه عليه السلام لم يرغب فى الدنيا واحتقرها فلم يغره زخرفها [2] ولم يله بنعيمها

---

(١) يرفه معيشته : يوسعها (٢) الزخرف ـ الذهب والزينة

وكان كلما تقدمت به السن زاد إعراضاً عما كان عليه غيره من لذة الحياة وعما فيه حب الانفراد والانقطاع إلى مراقبة الله تعالى والتعبد بمنابذته فقد كان يخلو بغار حراء [1] فيتعبد فيه الليالى ذوات العدد على دين أبيه إبراهيم عليه السلام فتارة عشر ليال وتارة أكثر يأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع إلى بيته فتزود لمثلها . وكأن الله تعالى قد ألهمه ذلك لتصفو نفسه الكريمه ويتوجه روحه الشريف إلى عالم غير عالم المادة الفانية ويستعد لما أكرمه الله به من تلقى وحيه وإنقاذ الخلق مما كانوا فيه من الشرور والآثام

بعثته صلى الله عليه وسلم

بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم فى غار حراء [2] على جارى عادته جاءه الملك جبريل عليه السلام فقال له : اقرأ : قالها ثلاثا : ومحمد صلى الله عليه وسلم يجيبه فى كل مرة (ما أنا بقارىء) (أى لست ممن تعلم القراءة ولا أستطيع أن أقرأ) ثم قال له الملك فى الرابعة (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الأنسان من علق [3] . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الأنسان مالم يعلم) قال فقرأتها وكأنما كتبت فى قلبى كتابا وكان ذلك يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت [4] من رمضان من السنة الحادية والأربعين من مولده عليه السلام

والحكمة فى أن رسالته كرسالة غيره ممن تقدمه من الرسل عليهم السلام جاءت بعد تمام سن الأربعين غالباً أن هذه السن هى سن الشيخوخة

«١» حراء - جبل شرقى مكة المكرمة «٢» غار حراء - جحر منحط فى جبل حراء «٣» العلق . الدم الغليظ «٤» خلت - مضت .

والكمال فتتكامل فيه قوى الأنسان العقليه ، ويفيض الله عليه فيه الكمالات كلها زيادة على كماله صلى الله عليه وسلم أيام طفولته وريعان شبابه [١] . سنة الله تعالى في خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

وقد رجع عليه السلام إلى خديجة رضى الله عنها مضطربا يرتجف فؤاده من شدة ما عاناه من الملك فأخبرها خبر ما رآى فبشرته وطمأنته وقالت له (والذى نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ولن يخزيك الله أبداً) وكان لخديجة ابن عم اسمه ورقة بن نوفل قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الأنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له خديجة يابن عم اسمع من ابن أخيك : فقال له ورقة يابن أخى ماذا ترى؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ! فقال له ورقة (هذا الناموس الذى نزل على موسى) ! ياليتنى فيها جذعا ! ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم ؟ قال ورقة نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودى وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرا [٢] ثم لم ينشب [٣] ورقة أن توفى وفتر الوحى (اى احتبس ثلاث سنين) (حتى اشتد شوقه صلى الله عليه وسلم ثم نزل عليه قوله تعالى (يأيها المدثر [٤] . قم فانذر [٥] . وربك فكبر . وثيابك فطهر والرجز [٦] فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر) فقام عليه السلام بأعباء [٧] الرسالة والتبليغ وحيداً فريداً لاجند ينصره ولا معين يؤازره [٨]

(١) ريعان شبابه ـ أول شبابه (٢) نصراً مؤزرا ـ قوى متينا (٣) لم ينشب ـ لم يمكث طويلا
(٤) المدثر ـ المتلفف فى الثياب (٥) أنذر . خوف العاصين (٦) الرجز . الصنم
(٧) الاعباء ـ الاحمال (٨) يؤازره ـ يعاونه ويساعده

وما هو إلا وحى الله تعالى يمده ، وتوفيقه يسدده [١] وعنايته تؤيده [٢] !!

دعوته صلى الله عليه وسلم الى دين الله

دعا صلى الله عليه وسلم الناس إلى دين الله سراً أول الأمر ، حتى لا يعارض من كبار المعاندين

وكان أول من هدى الله إلى الأسلام خديجة بنت خويلد زوجته وأبو بكر الصديق رضى الله عنه وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وزيد بن حارثة مولاه ثم تبعهم نفر ممن كانوا يحبون الحق ولم يداخلهم حقد ولا حسد ولم يصدهم عناد ولا حياء ولا استكبار — وبعد ثلاث سنين من رسالته عليه السلام ، أمر بأن يجهر بالدعوة إلى الدين ، بقوله تعالى (فاصدع [٣] بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فأعلن لقريش الدعوة إلى توحيد الله والأخلاص له ، وترك تعظيم الأصنام وعبادتها وتبع ذلك أنه عابها وذمها وجهل عبادها ، وأنذرهم سوء المصير إن لم يقلعوا عن اتخاذها آلهة من دون الله فنفروا منه وناصبوه العداء

وقد جعل الله له تعالى من عمه أبى طالب حاميا يذود [٥] عنه ويقوم دونه فى بعض ما يراد به من كيد وشر . ومن زوجه خديجة رضى الله عنها وهى تلك السيدة العاقلة الفاضلة ، مؤاسيا [٥] يعطف عليه ويثبته ويخفف عنه وقع ما يلاقى ، وقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة على هذه الحال يدعوا إلى الله تعالى غير مبال بما ينالهمن أذى سفهاء قومه

---

(١) يسدده ، يوفقه للصواب (٢) يؤيده ، يقويه (٣) صدع بالحق ، تكلم به جهارا (٤) يذود عنه ، يدافع عنه (٥) مؤاسيا ، مساليا ومعاوناً

وتكذيبهم ، وقد أخذ عدد المسلمين من قريش وغيرهم فى ازدياد حتى كانت السنة العاشرة من رسالته إذا به رزىء [1] بمصاب عظيم هو موت عمه أبى طالب أول المدافعين عنه وزوجه خديجة رضى الله عنها إذ توفيا فى زمنين متقاربين فحزن عليه السلام لذلك حزنا شديدا فى صبر وثبات وتسليم لقضاء الله تعالى وقدره حتى سمى عام وفاتهما عام الحزن (وعند صفو الليالى يحدث الكدر)

فالحازم من لا يغتر بدنياه أبداً ، لأنها دار حزن وهم وغم وكدر

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأكدار والأقذار!

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب فى الماء جذوة [2] نار

وقد روى أنه عليه السلام قال فى هذا المعنى (من طلب مالم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق) قيل يارسول الله وما هو الشىء الذى لم يخلقه الله ؟ قال (سرور يوم بتمامه)

وقد اشتد على المصطفى عليه السلام وعلى أصحابه رضوان الله عليهم بعد ذلك أذى الكفار من قريش ونالوا من أذاهم مالم ينالوا فى حياة عمه أبى طالب الوفى المخلص ولكن الله تعالى كريم غيور على دينه ورسوله عليه السلام — فقد أعز الله الأسلام وأعلى مناره — وقوى رسوله بالأنصار والمهاجرين وبمن دخل فى دين الله أفواجا [3] من القبائل العربية ولاسيما حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان شهما عظيما وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد اعز الله به الاسلام (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم)

---

(١) رزىء : أصيب (٢) الجذوة : قطعة خشب فى طرفها نار (٣) الأفواج : الجماعات

بعد هذا أخذت الوفود من أنحاء جزيرة العرب تفد على رسول الله وكلهم دان[1] للأسلام وخضع لاحكامه . وماوافت السنة العاشرة للهجرة حتى عم نوره البلاد العربيـــة حتى كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع أكثر من مائة الف من المسلمين ومن لم يحضر منهم هذه الحجة كان أضعاف ذلك — وقد نزل ختام القرآن الكريم يوم عرفة فى تلك الحجة فكان آخر آية منه قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الأسلام ديناً) وكانت هذ الآية الكريمة مؤذنة بوفاته صلى الله عليه وسلم ، فقد روى أنه عقب نزولها بكى بعض الخلفاء الراشدين فقيل له مايبكيك ؟ فقال؟ (ماتم أمر إلا بدا نقصانه) يريد بذلك انه متوقع وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لان نعمة الأسلام تمت به عليه السلام ! !

وفاة الرسول عليه السلام

مرض الرسول عليه الصلاة والسلام نحو أسبوع مرضا شديداً ولما كان يوم الأثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة عشر للهجرة فارق الرسول دنياه (ولحق بمولاه . واختار الرفيق الأعلى على زهرة الحياة الدنيا بعد أن ادى الأمانة حق أدائها وهدى الناس الصراط المستقيم فاستنارت به البصائر والأبصار ونطقت الألسنة بالشكر له والثناء عليه : قالت عائشة رضى الله عنها (توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى [2] ونحرى [3]) والمراد أنه توفى وهو فى حجرها وكان أبو بكر رضى الله عنه غائباً فسل عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(١) دان للاسلام : خضع له (٢) السحر : الرئة (٣) النحر . موضع القلادة

سيفه وتوعد من يقول ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاقبل أبو بكر رضى الله عنه حين بلغه الخبر إلى بيت عائشة رضى الله عنها فكشف عن وجه رسول الله وجثا[1] يقبله ويبكى ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك[2] ؛ فلما تكلم أبو بكر رضى الله عنه ، جلس عمر فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه ثم قال : (ألا من كان يعبد محمداً فأن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت) قال تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم[3] على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فان يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) فنشج[4] الناس يبكون (رواه البخارى) . وكان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما سمع قول أبى بكر قال فوالله لكأنى لم أتل هذه الآية قط ! !

دفنه عليه السلام

بقى عليه السلام فى بيته حتى انتهى المسلمون من إقامة خليفة لهم ثم غسل وكفن فى ثلاثة أثواب بيض ، ليس فيها قميص ولا عمامة . ووضع على سرير عائشة رضى الله عنها . وصلى عليه المسلمون جميعا الرجال ثم النساء ثم الصبيان وحفر له لحد فى بيت عائشة حيث توفى ودفن ليلة الأربعاء فى جوف الليل تاركا المسلمين شيئين عظيمين لا يضرهم شىء ما تمسكوا بهما وهما (كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) والاحاديث التى حفظها عنها الثقاة وكانت تشريعا وتبيينا للأحكام ومقاصد

---

(١) جثا : مس الارض بركبتيه (٢) على رسلك - تمهل يريد عمر (٣) انقلبتم على أعقابكم : ارتددتم عن دينكم (٤) نشج الناس يبكون : أخذوا فى البكاء

القرآن الكريم. وعاش عليه السلام ثلاثا وستين سنة . أربعين قبل النبوة وثلاث عشرة سنة فى مكة بعدها وعشر سنين فى المدينة بعد الهجرة

نسأل الله القدير أن يتوفانا على ملته ويقدرنا على العمل بشريعته ويثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وان يجعل خير زماننا آخره .وخير اعمالنا خواتيمها : وخير ايامنا يوم لقائه (اعوذ بوجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان تنزل على غضبك او تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى : ولا حول ولا قوة إلا بالله) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مراجع الكتاب

(١) القرآن الكريم
(٢) السنة الشريفة
(٣) المثل الكامل لأستاذى جاد المولى بك
(٤) حياة محمد للأستاذ محمد رضا
(٥) « « « الدكتور هيكل
(٦) الأسلام دين الفطرة للمرحوم الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش بك
(٧) تاريخ « محمد رسول الله » للأستاذ محمد كامل

قد تم طبعه بحمد الله يوم الخميس الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥٤ هـ يوافق اليوم الثالث عشر من يونيه سنة ١٩٣٥ ميلادية وسيعاد طبعه بمشيئة الله تعالى بعد تنقيح وتوسع يجعله نحو ثلاثة امثاله فنرجو من حضرات القراء ان يوافونا بما يعن لحضراتهم من نقد او اقتراح . والله تعالى نسأل ان يعم النفع به وان يجعله خالصا لوجهه الكريم بحق جاه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ؟

المؤلف

obeikandl.com

الخطأ	الصواب	الصحيفة	السطر
مسلوك	مسلول	٦	٣
فند كان	فقد كان	٧	٩
بات لرهبان	بات الرهبان	٩	١٧
النبوات	النبوءات	١٠	٢
على القول وترك	على القول المشهور وترك	١٠	١٦
مدة حمله	مدة حملها به	١١	٥
عند أبي سليمة	عند أبي سلمة	٢٥	١٤
سيرة رسول من	سيرة رسول الله من	٢٨	٧
بدافع شهوا	بدافع شهواني	٢٨	١٠
من تقى وحيه	من تلقى وحيه	٣١	٧
خير ما رآى	خير ما رأى	٣٢	٥

obeikandl.com

فهرس الكتاب

المواضيع	الصفحات
مقدمة الكتاب	١ ـ ٤
عظمته عليه السلام	٥ ـ ٧
نسبه الشريف	٧ ـ ٨
البشارة بمولده ورسالته	٨ ـ ١٠
مولده عليه السلام	١٠ ـ ١٢
رضاعته عليه السلام	١٣ ـ ١٦
نشأته « «	١٦ ـ ١٨
أكله من كسب يده	١٩
سفره إلى الشام في تجارة	١٩
خطبة خديجة إياه	٢٠
خديجة بنت خويلد	٢٠ ـ ٢١
بنوه عليه السلام وبناته	٢١ ـ ٢٢
زوجاته « «	٢٢ ـ ٢٣
حكمة تعدد زوجاته	٢٣ ـ ٢٧
رد مفتريات المفترين	٢٨ ـ ٣٠
زهده وتعبده قبل الرسالة	٣٠ ـ ٣١
بعثته صلى الله عليه و	٣١ ـ ٣٢
دعوته إلى دين الله	٣٢ ـ ٣٥
وفاته عليه السلام	٣٥ ـ ٣٦
دفنه « «	٣٦

oberkandi.com